عمليات السلب والنهب في بغداد: آثارها وموقف الدولة منها (ق٤-٥هـ/١٠-١١م)

إعداد

د/ محمد سعد

- المقدمة

تعرضت العراق كغيرها من البلاد الإسلامية للعديد من الكوارث الطبيعية التي كانت تلم بها من فترة لأخري؛ فأحياناً كانت البلاد تتعرض للجدب الذي يحدث إما لانحباس الأمطار أو لتأخر سقوطها عن موسم البذر فينتج عن ذلك شح الغذاء وندرته، مما يسبب المجاعات التي التي يصاحبها في الغالب الأوبئة والأمراض الفتاكة، وفي أحيان أخري نجد وضعاً مغايراً لذلك حيث تشهد البلاد سلسلة من الأمطار الشديدة المتصلة والعواصف الصاعقة والرياح مما يسبب السيول والفيضانات التي تجتاح البلاد مسببة الغرق والدمار لمختلف المنشآت العمرانية، كما تؤدي إلي إتلاف المحاصيل الزراعية.

وكان لهذه الكوارث آثار سلبية كثيرة علي مختلف طبقات السكان، وإن بلغت وطأتها مبلغاً شديداً علي طبقة العامة فأثرت في سلوكياتهم ونظرتهم الي المجتمع المحيط بهم، ونتجت عنها أعمال سلب ونهب كثيرة منسوبة الي العامة، وجدير بالذكر أن عمليات السلب والنهب والكوارث الطبيعية كموضوعين منفصلين كانا محوراً لعدد من الدراسات من أهمها دراسة بعنوان: "العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، ١٩٨٣م، وفيه ركز الباحث فهمي سعد علي أحوال وأوضاع طبقة العامة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وكذلك دراستين آخريين: الأولى بعنوان: "أثر الكوارث الطبيعية علي الحياة الاجتماعية في ديالي من ١٣٢هـ - ٨٠٠ م/ ٧٤٩هـ - ١٣٩٧م" مأثورة في: مجلة أبحاث كلية التربية جامعة الموصل، المجلد ٨، العدد. والثانية بعنوان: "الكوارث الطبيعية وأثرها في بغداد حتي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، كلية التربية جامعة المثنى، د – ت. وقد ركزت هاتان الدراستان علي الأثر الاجتماعي للكوارث الطبيعية، ومدى تأثر العامة بهذه الكوارث. غير أن عمليات السلب والنهب وعلاقتها بالكوارث الطبيعية خصوصا في بغداد عاصمة الخلافة العباسية لم تنل الاهتمام اللازم من جانب الباحثين، وهناك عدد من الإشارات لهم في المصادر العربية فضلا عن عدد من الدراسات الحديثة؛ من هنا تهدف هذه الدراسة الي الكشف عن العوامل التي اسهمت في عمليات السلب والعلاقة بين الكوارث الطبيعية واعمال السلب والنهب التي قام بالكثير منها أفراد من طبقة العامة، خصوصا في مدينة بغداد عاصمة الخلافة، ودراسة العوامل الأخرى التى أسهمت فى عمليات السلب والنهب، وكيف واجهت الدولة هذه العمليات.

أولاً: العوامل التي ساعدت علي انتشار عمليات السلب والنهب

هناك كثير من الأخبار المتناثرة في المصادر العربية عن تعرض بغداد عاصمة الخلافة لعدد من الكوارث الطبيعية، وما ترتب علي ذلك من عمليات سلب ونهب كثيرة تعرض لها سكان بغداد، فهل كانت هناك علاقة بين هذه الكوارث وبين عمليات السلب والنهب؟ هذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عليه، لقد تعرضت بغداد وغيرها من مدن العراق وطرقها لعمليات سلب ونهب من قبل العامة ويبدو أن هذه العمليات تعود إلي عدد من العوامل أو ألأسباب ومن أهمها.

١. الكوارث الطبيعية: [١]

أسهمت الكوارث الطبيعة المتلاحقة كالمجاعات والقحوط والفيضانات والزلازل والحرائق في العراق في ظهور سلوكيات السلب والسطو والتعدي والغصب،[٢] وقطع الطرق، وهي ممارسات عدوانية، اختفي بسببها الأمن داخل المجتمع في مراحل حرجة، لأنها استهدفت مصادر عيش الإنسان، سواء منها المنقولة أو الثابتة وذلك (بسبب ما يقع في آخر الدول من العدوان في الأموال) علي حد تعبير ابن خلدون[٣]. وكان سكان مدينة السلام عاصمة الخلافة أكثر المتضررين من عمليات السلب والنهب التي أعقبت كل كارثة طبيعية، ففي سنة ٣٠٢هـ/٩١٥م في عهد الخليفة المقتدر وعقب طواعين حنين والماسرا ووباء الحربية ووباء داء الكلب [٤] في سنتي ٣٠٠ و٣٠١هـ وتأثيرهم السيئ علي بغداد قام الأعراب من بني شيبان بقطع الطريق وأخذ أموال التجار[٥].

وفي عام ٣٠٣هـ/٩١٦ م عانى الحجاج من قلة الماء وشدة العطش، ولما عادوا خرجت عليهم جماعة من العرب وحاولوا الفتك بهم مستغلين ظروفهم

---

[١] الكارثة: لغة تعني كرث كرثه الامر يكرثه وكرثه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقه، وتعنى ايضا الاشتداد والمشقه، أما اصطلاحا كما عرفتها الامم المتحده بانها الدخول المفاجئ غير المتوقع فى اسلوب الحياه العامة فجأة فيصبح الناس فى حاجة للمساعدة بسبب المعاناة والمأوى والعناية الطبيه , maajim.com ar.wikipedia.org/wiki

[٢] الفرق بين المعتدي والغاصب أن التعدي جناية علي بعض السلع، والغصب جناية علي السلعة كلها، ابن فرحون المالكي. تبصرة الأحكام في أمور الاقضية والاحكام، ص ١٨٦.

[٣] المقدمة، ص ٣٢٠.

[٤] كذا الوباء ببغداد فكان منها ما سموه حنينا ومنه نوع أخر سموه الماسرا، أما الحنين فكانت سليمة وأما الماسرا فكانت طاعونا قاتلا، وكانت الكلاب تطلب الناس والدواب فاذ اعضت انسان اهلكته كما فشا الموت في الحربية واهل الارباض الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص ٢١٦١-٢١٦٢.

[٥] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦- ص ٢١٩٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٨ – ص ٤٤، ابن الجوزى: المنتظم، ص ١٣ ص ١٤١.

السيئة [١]. كما شهدت بغداد في سنة ٣٠٨ه/٩٢٠م سلسلة من الكوارث من برد شديد أضر بالنخل والشجر، فضلا عن سقوط ثلج كثير[٢]، وتلى ذلك حدوث جفاف فارتفعت الأسعار واضطربت العامة وتعذر عليهم الحصول علي قوت يومهم فضجوا في الأسواق وقصدوا دار الوزير حامد بن العباس وتطاولوا عليه ورجموه لأنه كان يضمن خراج العراق وعربستان وأصفهان، فجمع الحبوب في تلك البلاد ومنع حملها إلي العاصمة، مما أدى إلي ارتفاع الأسعار[٣]. وكان ذلك يوم الجمعة فقام العامة بمنع الخطبة وكسروا المنابر وقتلوا أفراد الشرطة وأحرقوا جسوراً كثيرة، فأمر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣١٧هـ/٩٠٨-٩٣٢م) بقتالهم، كما أوعز لصاحب الشرطة وقائد الجيش بضرورة المحافظة علي الأمن والطمأنينة وضمان سلامة الوزير، ثم نقض الضمان وفي نفس الوقت أجبر التجار غلي فتح دكاكينهم حتي يتسنى للناس شراء ما يحتاجونه، فانخفضت الأسعار، فطابت أنفس الناس بذلك وسكنوا [٤].

ويتضح من تجليات كوارث المجاعة التي ألمت ببغداد نوازع السلوك العدواني لأجهزة الدولة مثلاً من خلال قيام مؤنس المظفر قائد الجيش من استيلاءه علي مدينة الموصل سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، ومنع جلب أو إحضار السلع الغذائية أو الحبوب إليها هو والقرمطي، مما أدي إلي نقص السلع المعروضة في أسواق بغداد وارتفاع سعرها، كما أن بعض التجار عندما أخبرهم أنصار مؤنس باستيلائه علي الموصل وتثيب وما والاها استغلوا هذه الأزمة، فاحتكروا ماعندهم من سلع آملين أن يبيعوها بأسعار مرتفعة، مما أدي إلي خروج العامة في بغداد ويسخموا وجوههم ويصيحون " الجوع – الجوع للغلاء" [٥].

وفي ظل الواقع المشحون بالكوارث الطبيعية يقول ابن خلدون "تشتد طوارق التعدي والفتن الضارية."[٦] ومن أمثله ذلك ما حدث فى خلافة الراضي بالله (٣٢٢/٣٢٩هـ) استمر الأتراك في تسلطهم واستبدادهم بأمر الخلافة، كما عجز الوزراء عن إدارة الدولة بسبب ازدياد نفوذهم [٧]. ورأي الخليفة أن يستدعي محمد بن رائق وأسند إليه الإمارة ورئاسة الجيش ولقبه

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٥٦.
[٢] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦ ص ١٥٦.
[٣] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤ ص ٣٥٦- ٣٧٠.
[٤] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٥٠.
[٥] الصولي: الأوراق، ص ٦٦ – ٧٤، الكبيسي: أسواق العرب، ص ٢٨٢ – ٢٨٤.
[٦] المقدمة، ص ٣٩٢.
[٧] ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٨١.

بأمير الأمراء ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون[١] في جميع النواحي وفوض إليه تدبير المملكة وذلك في سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م[٢]. ولم يستطع ابن رائق وخلفاؤه الذين تولوا منصب إمرة الأمراء إصلاح أمور الدولة فزادت أحوالها سوءاً من جراء الكوارث الطبيعية المتعاقبة؛ حيث تعاقبت علي البلاد العديد من الكوارث الطبيعية خلال تلك السنوات سواء من حرائق وفيضانات لنهري دجلة والفرات فضلاً عن الجفاف والقحط والرياح والبرد والوباء وحمى ووجع المفاصل، بالإضافة إلي ارتفاع الأسعار[٣]، وثورات الجند المستمرة بسبب قلة الأموال وتغلب أمراء الأطراف والنواحي علي ما بأيديهم واستقلالهم بها [٤]. وفي عام ٣٣٢ه/٩٤٣م ارتفعت الأسعار ببغداد وكثرت الأمطار حتي خربت المنازل ومات خلق كثير تحت الهدم ونقصت قيمة العقار، وكان ما يسقط من الأبنية لا يعاد، وتعطل كثير من الحمامات والمساجد والأسواق لقلة الناس ونتيجة لهذا كثرت الهجمات من اللصوص بالليل والنهار من أصحاب ابن حمدي [٥] وقام الناس بعمل نوبات للحراسة واستخدموا بوقات فى الليل لتنبيه بعضهم.

وحسبنا أن هذه الممارسات العدوانية التي خضعت لها بغداد في مراحل متعددة من تاريخ الحقبة المدروسة قد فطن إليها ابن الخطيب مؤكداً من بين الخصائص المميزة للفترة المذكورة اندلاع الآفات والفتن بقوله (وعدوها ينتهب في الفتن أقواتها)[٦]. وخير مثال يعكس مدي الأزمة أن طال النهب الخليفة المستكفي (٣٣٣/٣٣٤هـ / ٩٤٤/٩٤٦م) في عهد بني بويه واستأثروا ببيت المال وسيطروا علي المكوس وأقطعوا قوادهم وأصحابهم القطائع فبطلت الدواوين وحددوا مؤنة الخليفة بخمسين ألف درهم كل يوم لنفقاته وربما تأخرت عليه.[٧] وقد حدث ذلك فى سنه ٣٣٤هـ /٩٤٥م، وأزال معز الدولة جميع أمور الخلافة

---

[١] المعاون جمع معونة وصاحب المعونه هو الأمير دون الحاكم وهو منصب يضم عادة إلي صاحب الجند والحرب، وأحياناً أخرى هو صاحب الشرطة، وعادة يطلب منه مساعدة القضاء والحكام ومعونتهم بما يقضي لم الشمل وتحقيق الإصلاح في تنفيذ القضايا، الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٣٨، القلقشندي: صبح الأعشي، ج ١٠ ص ١٥٠، حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية، ص٤٥.

[٢] الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله،ص ٨٩، مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢ ص ١٩٨.

[٣] العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢ ص ٣٠٨، الصولي: الأوراق، ج ٢ ص ٩٨، ١٤٠، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٢٣١، ٣١٥، ج ٧ ص ١٤، ج ١٣ ص ٣٧٤.

[٤] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٤٦، صفاء حافظ: نظم الحكم في الدولة العباسية، ص ٤٠.

[٥] ابن حمدي – كان لصا مشهورا في القرن الرابع الهجري بدا حمالا في اسواق بغداد ثم صار ينهب الأموال من أهل بغداد وأسواقهم، وتجارتهم وقطع الطريق، ابن مسكويه، تجارب الأمم، ح ٢ ص ٥١ – ٥٥.

[٦] معيار الاختيار، ص ٧٧.

[٧] الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري، ص١٤٨.

وانتهبها بحيث لم يبق للخليفة وزير وإنما كاتب يدير قطاعه، وسارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد[١].

وقد عانى سكان بغداد من ارتفاع أسعار المنتجات وسوء الأوضاع الأمنية نتيجة انتشار الفوضي وقت الفتن [٢]، فدفعهم الغلاء إلى سلوك التصدي سعياً للحصول علي الخبز بعد انعدامه، مما اضطرهم إلي أكل الميتة والجيف وأثمار الشوك فلحقهم من جراء ذلك أمراض خبيثه واورام سرطانيه مات أكثر المرضى على أثرها، في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[٣] وهناك رواية ربما لا تصدق بأن الدابة إذا راثت اجتمع الناس علي الروث ففتشوه ولقطوا ما يجدونه فيه من شعير فأكلوه [٤]. وكانت عمليات السلب والنهب اتخذت طابعاً أكثر حدة زمن الفيضانات والحرائق التي شهدتها العراق في سنة ٤٢٦هـ، حيث كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلي حواشي بغداد وما حولها وكانوا يسلبون النساء وماعليهن، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه، وفي أحداث سنة ٤٣٦هـ/٩٤٧م، لما وقع صدام طائفي بين السنة والشيعة ثم اتفق العامة علي اليهود والنصارى، فأحرقوا كنيسة العتيقة، ونهبوا دار اليهود فثار العوام وسلبوا الميت من أكفانه وأحرقوه، ومضوا إلي الدير فنهبوه [٥]. وعقب انتشار القحط والوباء ببغداد ومكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد الروم وخراسان في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م انقطعت الطرق عن العراق خشية من أعمال السلب والنهب في العام التالى[٦].

ولم يكن النهب والسلب يطول المال والامتعة والدكاكين فقط بل كان العامة ينهبون أي شئ له قيمة يمكن من خلاله الحصول علي مال أي بيعه وشراء طعام به، ففي سنة ٤٥١هـ/١٠٦٣م احترقت الكرخ[٧] ببغداد وغيره وبين السورين، واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها علي يد العامة لما وقع الحريق [٨]. كما نهبت بعض كتبها في وقت انشغال الناس بعمليات الاطفاء فوجد اللصوص فرصة فى ذلك، ونجح عميد الملك

---

[١] المسعودي: مروج الذهب، ج ٦ ص ٢٩٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٦٠.
[٢] ابن الأثير: الكامل، ج ٩ ص ٦٨.
[٣] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ١١٩ – ١٢٠.
[٤] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٤.
[٥] ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨ ص ٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٢٧٧.
[٦] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٣٥١.
[٧] الكرخ: وما أظنها عربية انما هى نبطيه وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضوع كذا جمعته فيه كل موضوع وكلها بالعراق، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤ ص ٤٤٧.
[٨] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ١١١.

الكندري[١] في إنقاذ عشرة ألاف مجلدا وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق عندما علا الضجيج والصراخ، فغطي ذلك سلوكهم العدواني[٢]، فبينما كان الناس منشغلون بإنقاذ أمتعتهم تعرضت تلك الأمتعة لنهب اللصوص من العيارون وغيرهم، فما استطاعوا إنقاذ منها شيىء[٣]. وقد تكرر نفس الأمر في مكتبة نظام الملك ببغداد عقب اندلاع الحريق في بغداد حيث قام القضاة بإنقاذ معظم محتويات المكتبة[٤] وجدير بالذكر أن الناس كانوا يتعاونون في الأسواق في حالة نشوب الحرائق ليخلصوا امتعتهم من أيدي اللصوص الذين كانوا يستغلون تلك الظروف آنذاك في أخذ الأموال والأمتعة والبضائع من المحلات في الأسواق ليلاً [٥]. وقد يرى البعض أنه كان أمراً طبيعياً أن ينتهز الجياع فرصة نشوب النار في الأسواق ذات القيساريات العظيمة البنيان[٦] للفوز بما يسدون به جوعهم، وهو سلوك أجازه المشرع للمضطر في مثل هذه الحالات طبعاً من دون أن تكون له نية العدوان وقطع السابلة[٧].

وكانت الحرائق من أخطر الأسباب التي تؤدي إلي زوال المدن والقري والأحياء واندثار الدور والقصور والعقارات والحظائر والأضرحة والترب والآلات والجواهر وما إلي ذلك، فإن إضرامها زمن المجاعات والقحوط في المرافق الاقتصادية من قبل عصابات اللصوص مثلاً كان شكلا من أشكال التغطية والتمويه التي أفرزها السلوك العدواني للجوعي بهدف صرف الأنظار عن أعمال السلب والنهب في وقت انشغل فيه الناس عادة بإطفاء النيران وإخمادها، مثلما حدث في سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م حيث وقع حريق بنهر معلي في دكان خباز فاحترق من باب الحديد إلي آخر السوق الجديد من الجانبين، وتلف من المال ما لا يحصي ونهب الناس بعضهم بعضا واستولوا علي ما كان فيها مستغلين في ذلك اشتعال الحريق، وكان الذي احترق من جراء ذلك مائة دكان وثلاثة دور[٨].

---

[١] عبد الملك الكندري، منصور بن محمد ابو نصر وزير طغر لبك ولد سنة ٤١٥ هـ من احدي قري نيسابور، قتل سنة ٤٥٧ هـ، الذهبي سير اعلام النبلاء، ج ٨ ص ١١٨.

[٢] ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١١٨.

[٣] الصولي: الأوراق ج ٢ ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

[4]Akasoy,Anna 2007. The Man – Made Disaster: Fire In Cities In The Medieval Middle East, Historical Social Research, Vol.32, No.3 ,P 82.

[٥] الصولي: الأوراق، ج ٢ ص ٢٦١ – ٢٦٢.

[٦] الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤١.

[٧] السابلة الطريق المسلوك يقال: سبيل سابلة أي مسلوكة والمارون عليه والجمع سوابل، المعجم الوسيط نقلاً عن almougem.com.

[٨] ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨ ص ٢٤١.

وكان بديهياً أن تؤدي الازمات المتتالية التى كانت تتعرض لها الناس بسبب أعمال السطو والسرقة إلى اتخاذ الحيطة والحذر والتعاون فيما بينهم مصداق ذلك وكثرة نوازل الغصب والتعدي واستنفار الأهالي مثلاً في حالة الحرائق بإعداد حبوب للماء في سطوح المنازل وإنشاء الفساقي في القصور، وفي عمل حياض للماء في الدروب تملؤ ماء لإطفاء النار، كما حدث في سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م عندما أقام أهل بغداد علي سطوح منازلهم من يحفظها من الحريق ونصب بعضهم الخيم في أعاليها[١]، كما نصبوا أنفسهم حراساً بالليل علي المنازل مستخدمين في ذلك البوقات في حالة قدوم اللصوص لمساعدة بعضهم البعض[٢]. كما أقدمت بعض القبائل أمثال بنو سليم وغطفان[٣] وفزارة وطي وبني هلال، على الإغارة علي طريق الحج العراقي الكوفة – مكة وتخريب محطاته وقطع الطريق علي المسافرين والتجار مستغلين في ذلك ضعف الخلافة العباسية فضلاً عن الكوارث الطبيعية المتلاحقة علي البلاد[٤].

وأسهمت المجاعات المتعاقبة والسنوات العجاف التي ألمت بالعراق في استشراء السلوك العدواني، ويكفي للاستدلال علي ذلك بخطورة جماعة العيارين[٥] التي أصبحت ذات قوة بشرية كبيرة تهدد الجنود والدولة حتي عجز البويهيون عن مقاومة بلطجيتها [٦]، وإن قامت بأعمال تخريبية طالت جميع مراكز الدولة، وعمت الحركة جميع أنحاء العراق بسبب عوائدها المادية المربحة، فضلاً عن انضمام العديد إليها من الفقراء والمعدومين،وأصحاب الفطنة والذكاء واللباقة والمكر وغيرهم[٧].

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٣٥٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٦ ص ٦٠، ١٦١، ١٥٧.
[٢] ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٣٥٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧ ص ٤٣٣.
[٣] بنو سليم قبائل عربية عدنانية قيسية كانوا ومازالوا يقيمون فى الحجاز ونجد اما بنو هلال قبيله عربيه قيسية عدنانيه يعود اصلهم الى وسط نجد،بنو غطفان بطن من قيس عيلان من العدنانية، اما بنوفزارة قبيله عربية وهى فرع من قبيله ذبيان من غطفان، وهى قبيله عدنانيه، وطي بطن من فزاره http://arwiwipedia.org.wiki
[٤] ابن جبير: الرحلة،ص ١٦٢ – ١٦٩، ابن بطوطة، ج ١ ص ١٩٠ – ١٩٤.
[٥] العيارون مفردها عيار تعنى الرجل الكثير الحركة، والعرب تمدح بالعيار وتذم به، اما كتب التاريخ فقد اختلفت فيما أطلقته على العيارين والشطار من تسميات ونعوت فسموهم بالرعاع والاوباش والطرادين، والفتيان، الفيروزبادي: القاموس المحيط، ص ٩٨، الزبيدى: تاج الفرس جـ٣ ص ٤٢٤، البطرى: تاريخ الرسل والملوك جـ١٠ ص ١٨١، ابن الجوزى: تلبس إبليس ص ٣٧٨
[٦] ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٠٧.
[٧] الحريري: المقامات، ج ٢ ص ٣٩٨.

وفي المنحني ذاته لم تسلم منازل الصالحين زمن القحوط والمجاعات من عبث اللصوص وسطوهم، فأبو حيان التوحيدي[١] كان ضحية العيارين في إحدي المرات تحدث عنها بقوله: "حيث شنوا الغارة واكتسحوا ما وجدوه في منزلي من ذهب وثياب وأثاث وما كنت ذخرته من تراث العمر وجردوا السكاكين علي الجارية في الدار يطالبونها بالمال فانشقت مرارتها ودفنت فى يومها". ويشير إبن مغيث الى حالة العراق تلك بقوله: "لقد شكل العدوان في العراق سلوكاً اعتيادياً انبثق من رحم المعاناة المرتبطة بمحن الكوارث الطبيعية في مجال غير مأمون اشتهر بتردد قحوطه[٢]. ويستكمل ابن الخطيب وصف تلك الحالة أيضا فيذكر أنّه كلما اشتدت المجاعة بمدينة المنكب واضطرب أمن أهلها الغذائي لاسيما وأنهم اعتمدوا في أحوالهم العادية علي السلع المجلوبة من الخارج إلا وكانوا يلجأون إلي اعتراض سبل المسافرين ونهب ما بحوزة التجار من أموال ومؤن، ولو أدي ذلك إلي ارتكاب جرائم قتل وتعذيب [٣]،

بناء علي ما تقدم من هذا السلوك العدواني المتعلق بأعمال السطو المذكورة في سياقها التاريخي تظهر معاناة الناس من قلة المواد بسبب تلك الازمات المتتاليه وما ترتبت عليها من بزوغ إرهاصات الشدة والجوع بين الناس.

٢. **الأوضاع السياسية غير المستقرة:**

مما لاشك فيه أن أوضاع الدولة العباسية المضطربة خصوصاً منذ نهاية القرن الثالث الهجرى وبداية القرن الرابع قد ألقت بظلال سيئة علي الأوضاع المعيشية للناس وأدت إلى كثرة أعمال السلب والنهب خصوصا في بغداد عاصمة الخلافة، ذلك أن الكوارث التي حدثت بكيفية دورية وبتزامن مع المراحل الانتقالية للسلطات الحاكمة أو بضعف الدولة وتلاشى سلطانها أسهمت في بلوغ الفساد غاياته ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك إسهام أجهزة الامن فى تغذيتة ورفع أيديها عن ملاحقة عصابات اللصوص وقطاع الطرق. فضلا عن ذلك كان لفترة الفوضى السياسية أثرها السيء على أحوال الدولة المعيشية وشيوع أعمال السلب والنهب وخاصة عند خلع الخلفاء والوزراء فى ظل الكوارث التي تعرضت له البلاد كالرياح الشديدة فى بغداد سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م[٤] كما حدثت عملية نهب عقب خلع الخليفة المقتدربالله وتنصيب

---

[١] الامتاع والمؤانسة، ج ٣ ص ١٦١ – ١٦٢.
[٢] ابن مغيث الطليطلي: المقنع في علم الشروط، مدريد، ١٩٩٤، ص ٢٣٥.
[٣] ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ٥٤ – ٥٥.
[٤] ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٠٥٧ – ٣٠٥٨.

الخليفة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢م–٩٣٤م)، فقد هاجم الجند دار الخلافة مستغلين أحداث الشغب فسرقوا كل شيء ثمين فيها مما زاد من سوء اوضاع البلاد المعيشية انذاك ، وتكرر الامر عقب حدوث جفاف وقحط فى سنة ٣٣٠ه/٩٤١م [١]، وهروب الخليفة المتقى بالله إلى الموصل مع محمد بن رائق[٢] من جراء الضغوط التى تعرضت له العاصمة من قبل جيش البريدى[٣] فارتفعت الأسعار وبلغ كر[٤] الدقيق ثلاثمائة دينار[٥]. ولما تمت للبريدى السيطرة على بغداد غلت الاسعار فبيع كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر دينار[٦]. ونكاية بآل البريدى منع امير الموصل تصدير الحبوب إلى بغداد فارتفعت الأسعار آنذاك[٧].

وفى خلافة المستكفى (٣٢٣-٣٣٤هـ) دخل البويهيون بغداد بهدف الاستيلاء عليها وتسلم مقاليد الأمور فيها سنة ٣٣٤ه/٩٤٥م، وقد ساءت احوال البلاد فى بغداد فضجر الناس من أعمالهم بسبب سيادة الاتجاه العسكرى فى مؤسسات الدولة وظهور بعض الأوضاع الجديدة التى جعلت الخلافة العباسية فى وضع أسوأ مما كانت علية سابقا، فقد اتبع اليويهيون أساليب مصادرة الرعية حتى شملت الطبقات الفقيرة بقصد استغلال الأموال فاشتدت وطأة هذة السياسة[٨] على الشعب، مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية والأمن الداخلى. وقد وصف التوحيدى حالة العراق فى عهده بقوله: [٩] "إنه بيت الغنى والغلاء هو فى كل يوم الى الوراء ومن الجور والضرائب فى جهد وبلاء". كما تكرر الأمر أيضا فى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م[١٠] عقب الجفاف والقحط الذى أصاب البلاد ، ثم تلى ذلك نهب دار الخلافة عند خلع الخليفة المستكفى بالله بعد دخول معز الدولة البويهى بغداد، فهكذا ساهمت أجهزة السلطة ممثلة فى أافراد الجيوش المتحاربة فى أعمال السطو والغضب مما زاد من معاناة أهالى البلاد من جراء الازمات

---

[١] الذهبى: تاريخ الاسلام ، ج ٤ ص٦٧، مسكويه: تجارب الامم، جـ ٢ ص ٢٥

[٢] ابن رائق: هو محمد بن رائق امير الامراء فى عهد الخليفة الراضى ابن الاثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥٤.

[٣] البريدى: اسم لثلاثة اخوة كان ابوهم صاحب البريد فى البصرة ايام المقتدر بالله وخلفائة المسعودى: مروج الذهب ، ج ٤ص ٢٤٧.

[٤] الكر: مكيال اهل العراق ومقداره ستون قفيزاً وهو يعادل ٢٣٤٠كغم، ابن منظور، لسان العرب، جـ ١٠ ص ٤٩٠.

[٥] ابن الاثير: الكامل ، ج ٦ ص ٢٢٣.

[٦] ابن الاثير: الكامل ، ج ٦ ص ٢٨٤.

[٧] الصولى: الاوراق ، ص ٢٢٨.

[٨] مسكوبة: تجارب الامم ، ج٢ ص ٢٧٥ ، متز: الحضارة الاسلامية ، ج ١ ص ٥٣ ، مصطفى التوانى: المثقفون والسلطة فى الحضارة العربية (الدولة البويهية نموذجا) بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج١ ص ٨٩.

[٩] مثالب الوزيرين ، ص٣-٥.

[١٠] ابن الجوزى: المنتظم: ج٦ ص ٣٤٤.

الطبيعية المتوالية فى ذلك الوقت[١]. ومما زاد الطين بلة هو اضطراب الامن وانتشار السلب والنهب بسبب المنافسة بين أمراء البيت البويهى وما صاحبة من حروب خاصة بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة [٢] فى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م فأصبحت نتيجة لذلك أموال الناس وأمتعتهم "نهبا بوجوة التحيلات وأسباب الحكام"[٣].

فى ظل تلك الاحداث تولى عضد الدولة أمور الحكم فى البلاد عام (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٦٦-٩٨٢م) ولم يكن أقل استبدادا بالدولة مما سبقه من أمراء البيت البوبهى، فاستمرت البلاد تعانى الاضطراب والفقر بسبب تدهور الدولة ومؤسساتها وتوالى الكوارث الطبيعية فضلا عن انشغال عضد الدولة بالحصول على الأموال والألقاب. وقد فطن ابن خلدون لمثل ذلك الاضرار العدوانى فى سلوك البشر مؤكدا فى شبه قاعدة اجتماعية: "إن الحضرى إذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع تأثله، وأصبح أغنى أهل المصر ورمقتة العيون بذلك ولما فى طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم إلى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلون فى ربقة حكم سلطانى." وفى الفترة الواقعة بين أعوام ٤١٣–٤٤٠ه توالى ال بويه على كرسى الإمارة وهم سلطان الدولة ومشرف الدولة، وعانت البلاد خلال هذة الفترة الاضطرابات وثورات الجند والنهب والسلب وانعدام الأمن وانتشار الفقر [٤] وتوالى الكوارث الطبيعية [٥]. كما أن المجاعة أصابت العراق زمن الدولة البويهية، وأسهم عجز الدولة عن حماية الناس من حركة العيارين ومن بلطجتها[٦] فى زيادة عمليات السطو والنهب والفوضى التى مارستها تلك الجماعة من العيارين، بل وقتلت بعض أفراد أجهزة السلطة، فى سنة ٤٢٤ه/١٠٣٢م[٧].

كما كان لضعف الإجراءات الأمنية فى العراق إبان العهد البويهى (٣٢٢-٤٤٧هـ/٩٣٣–١٠٥٥م) بسبب شدة الأزمات الاقتصادية واضطراب الأحوال

---

[١] الرذروارى: زيل تجارب الامم ، ص ٤٨.
[٢] ابن الجوزى: المنتظم ، ج ١٤ ص ٢٥٤.
[٣] المقدمة ص ٣٩٢.
[٤] توفيق سلطان اليوزبكى: العرب فى مواجهة الفرس التخريبية فى العصر العباسى (١٢٣ ه -٤٤٧ م) مجلة اداب الرافدين ، العدد ٢٠ ، ص ١٢٩.
[٥] العماد الحنيلى: شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ – ٢٢٨ ابن الاثير: الكامل ، ج ٧ ص ٤٦٧ – ٥٣٤ ، ج ٨ ص ١٧ – ٤٤ ابن الجوزى: المنتظم ج ١٥ ص ١٧٩- ٣٠٨ ، ج ٨ ص ١٠٤ ، ج ١٠ ص ١٨٩ ، ج١٦ ص ٨٣ ، ج ٨ ص ٨٣ – ٩٩.
[٦] ابن العماد: شذرات الذهب ' ج٣ ص ٢٢٧ ، ابو المحاسن: النجوم الزهرة ، ج ٤ ص ١٠٧.
[٧] ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٩.

الاجتماعية أن حدثت عمليات نهب منظمة أزهقت فيها أرواح وسفكت فيها دماء.[١] ورفع هذا الإجرام المنظم درجة التامين فى العراق وصار الناس يحرسون منازلهم ليلا ويتعاونون مع بعضهم بعضًا فى شكل نوبات منتظمة، وكانوا يستعملون البوقات لتنبيه بعضهم فى حالة قدوم اللصوص بالسلاح[٢]، كما أعدوا فى السطوح حباب الماء وبقوا على ذلك أياما حتى تعطلوا عن أعمالهم [٣].

وعادة ما تعجل الكوارث الطبيعية بهرم الدولة فتلجأ الاجهزة الحاكمة إلى سد العجر الحاصل فى نفقاتها المتعاقبة بالعدوان على الناس فى أموالهم، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا فى السعى فى الاكتساب[٤]. ففى حوادث سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م كان بالعراق كوارث متعددة بدأت ببرد شديد جمد فيه الماء فى دجلة والأنهار الكبرى وجمدت السواقى، كما تأخر المطر وزاد دجلة، فلم يزرع فى السواد إلا القليل[٥] كما كثر تسلط الأتراك ببغداد فأكثروا مصادرات الناس وأخذوا الاموال، حتى أنهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار، وعظم الخطب وزاد الشر وأحرقت المنازل والدروب والاسواق، ودخل فى الطمع العامة والعيارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره، كما يفعل الحاكم بمن يصادره وعمل الناس الابواب على الدروب فلم تغن شيئا ولما لا ؟ والسلطان البويهى نفسة يصادر أموال الخليفة العباسى وذخائره فقد قبض الامير بهاء الدولة على الخليفة الطائع لا لشىء إلا ليصادر أمواله ويستولى على ذخائره ليهبها لجنده ، حتى لا يشغبوا عليه، ثم ولى مكانه القادر بالله، فلا عجب أن يقوى أمر العيارين واللصوص فى بغداد فصاروا يأخذون العملات ظاهرا وان يكثر مجيئهم متسللين من الخلف وقيامهم بالاستيلاء على الأموال ليلا ونهارا [٦].

وجدير بالذكر أنه طالما كانت قبضة الدولة قوية كان أثر الكوارث السابق ذكرها وما يعقبها من عمليات سلب ونهب قليلا، غير أنه عادة ما تعجل الكوراث الطبيعية بهرم الدولة، وبالتالي فهناك علاقة قوية بين هرم الدولة واستفحال الكوارث التى يعقبها أعمال سلب ونهب وشيوع الفوضى والدليل على ذلك ما قامت

---

[١] التنوخى: نشوار المحاضرة ، ج ١ ص ٤٨ – ٤٩ ، ابن الجوزى: ج ٧ ص ٧٥،١٥٣،١٧٤،٢٢٠،٢٣٧.
[٢] ابن الاثير: الكامل ، ج ٧ ص ٩١.
[٣] ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٩ ص ١٥٩.
[٤] ابن خلدون: المقدمة ص ٣٠٢.
[٥] ابن الاثير: الكامل ، ج ٨ ص ١٥٦- ١٥٨ ، ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٨ ص ٢٥.
[٦] ابن الاثير: الكامل ، ج ٨ ص ١٥٦ ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٨ ص ٢٥.

به القبائل النافذة من عدوان ممنهج شمل القرى والطرق البعيدة عن سلطة الخلافة العباسية المتهاوية، فكانت النتيجة أن اشتد الخوف فى الطرقات ونبذ أكثر القبائل الطاعة، ففى سنة ٤٢٦ه/١٠٤٤م كثر تردد الأعراب بقطع الطريق إلى جانب بغداد وما حولها وذلك عقب وقوع الحريق بها وزيادة الماء فى دجلة البصرة فأثر فى الجنوب وسقطت أكثر من ألفى دار[١] ، وفى عام ٤٦٦هـ/١٠٤٧م انقطع الماء من الفرات إلى نهر عيسى [٢] مما أدى الى تلف المزروعات ونقص طحن الحبوب فأصاب الناس أضرار كثيرة وصادف ذلك هجوم الصراصير وسماع دويها ليلا، فأعقب ذلك سنة ٤٤٧ه/١٠٥٥م التى كثر فيها فساد الأعراب وخربوا ونهبوا أكثر سواد العراق[٣]، وكان للزلازل والبرد الشديد وزيادة ماء دجلة أثرها فى تمكين الفاطميين من دخول بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م فلقيهم أهل الكرخ واستقر بها البساسيري والناس إذ ذاك فى مجاعة وضر شديد ونهب أهل الكرخ باب البصرة تشفياً لأهل المذهب، ونهبت دار قاضى القضاة أبي عبدالله الدامغاني، وهلك أكثر السجلات والكتب الحكمية فبيعت للعطارين، ونهبت دار المتعلقين بخدمة الخليفة، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدى على منابرها وغيرها وضربت له السكة على الذهب والفضة[٤].

٣- <u>جماعة العيارين</u> [٥]

ارتبطت عمليات السلب والنهب بفئة عرفت باسم العيارين، والواقع أن

---

[١] ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٨ ص ، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٧.

[٢] نهر عيسى: ابن على بن عبدالله العباس وهى كورة وقرى كثيرة وعمل واسع فى غربي بغداد تعرف بهذا الاسم ومأخذه من الفرات عند قنطرة دمما ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥ ص ٣٢١ -٣٢٢

[٣] ابن الجوزى: المنتظم ج ٨ ص ١٦٠ ابن الاثير الكامل ، ج ٤ ص ٢٦٥.

[٤] ابن الاثير: الكامل، ج٨ ص ١٠٩، ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٦ ص ٣٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٩٦ – ٩٨.

[٥] هناك عدد من الدراسات التى تناولت نشأة وظروف ظهور هذة الحركة وكيفية تكوينها وصولها الاجتماعية ونشاطها ومن اهم هذة الدراسات محمد رجب النجار ، الشطار والعيارين حكايات فى التراث العربى ، عالم المعروفة العدد ٤٥ المجلس الوطنى للفنون والاداب – الكويت ١٩٨١محمد سعيد رضا حركة العبارين والشطار: العنف المدنى فى المجتمع العباسى خلال القرن الرابع الهجرى ، مجلة انسائيات العدد ١٠ – افريل ٢٠٠٠ ص ٤٧-٦٣. سارة خليل. العيارون والشطار فى العصر العباسى: نشاتهم ومبادئهم: اشعال الملتقى الدولى الخامس حول الحركات الاجتماعية فى العالم العربى الاسلامى ، جامعة تونس – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ٢٠٠٨ ، ص ١٣١-١٤٧. حسين حمد حسين الفقية ، الشطار والعبارين فى الدولة العباسية دورية كان التاريخية السنة ٥ العدد ٢٠١٢ صص ١١٦-١٢١. طه حسين عوض هديل العيارون واثرهم فى اوضاع مدينة زبيدة من القرن الثامن الى منتصف القرن – التاسع الهجريين / القرن الرابع عشر الى منتصف القرن الخامس عشر الميلاديين ، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار ، المجلد ٧ العدد المجلد ٧ ، العدد ٢٠١٣،١ ، ص ص ٢٥-٥٥.

المجاعة التى أصابت العراق زمن الدولة البويهية[١] أفرزت اوضاعا معيشية سيئة عانى منها الكثير من السكان وخاصة طبقة الفقراء مما أدى إلى ظهور حركة العيارين، وهى حركة ضمت العديد من عناصر المجتمع العراقى وكانت قائمة على السطو والنهب والفوضى كنوع من تحقيق أهدافهم المعيشية وضمت الحركة أخلاطا من مولدى العرب والفرس والترك[٢] وتميزت بوحدة قيادتها واتحاد عناصرها وطاعتهم لقادتها رغم تنوع جنسياتهم[٣] وضمت الحركة قادة كبارا أمثال ابن كبروية وابى الدود وابو النوابح وأسود الزبد[٤]. وهناك من يرى أن ظهور هذه الحركة كان نتيجة للتفاوت الطبقي والاقتصادى الذى شهدتة الحاضرة العباسية إبان عصرها الذهبى، ولم يكن لهم أثر خلال هذا العصر، ولا يشكلون مصدر خطر يتهدد سلطة الدولة أو مركز الخلافة ذلك أن قبضة الدولة كانت لا تزال قوية والخلافة في أوج مجدها السياسى والحضارى فكانت غاياتهم أن يطلبوا الشيء الطفيف أو أن يصيبوا غرة من اهل السفينة فيصيبوا ما يمكن اختلاسه[٥]، وكان هؤلاء القادة يضمون مجموعات تقوم بمهمات كنهب الدور من خلال اقتحامها ليلا ويطالبون اصحابها بالمال مقابل الحياة[٦]، وكان صاحب البيت لا يذكر اسم قائد الجماعة التى تنهب بيته خوفا على حياته منهم، وعظمت هذة الحركة وغدت قوة بشرية كبيرة هددت الجند والدولة حتى عجزت الدولة البويهية على حماية الناس منها ومن بلطجيتها[٧]. ويذكر أن هذة الحركة عمت جميع أنحاء العراق بسبب عوائدها المالية المربحة، فضلا عما كانت تضمه من أصحاب فطنة وذكاء ولباقة ومكر وغير ذلك على حد وصف الحريرى لها فى مقاماته. وقام هؤلاء اللصوص أيضا باستخدام القوة واستغلال الجماهير وغرائز الرحمة والسرقة كما كانوا يتعاونون مع الوعاظ الذين يتخذون من وعظهم شبكة لاصطياد العامة، ويبدو أن هؤلاء كانوا وراء بعض مظاهر الثورة والتململ الشعبى وإثارة الفتنة مما دفع بالدولة إلى منعهم من ممارسة أعمالهم ، فقد أمر المعتضد مثلا فى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م بالنداء ألا يقعد فى الطريق ولا فى مسجد جامع قاص ولا صاحب نجوم[٨] ولا زاجر[٩].

---

(١) ابن الوردى: تتمة المختصر ، ج ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ابو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٢٢٣ ، مسكوية: تجارب الامم ج ٢ ص ٩٩

(٢) ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٧ ص ٢٢٣ ، الذهبى: العبر فى تاريخ من غير ، ج ٣ ص ١٠.

(٣) ابو حيان: الامتتاع والمؤانسة، ج ٣ ص ١٥٦ ، ابن الجوزى: المنتظم ، ج ٧ ص ٧٧.

(٤) لم اجد ترجمة لابن كرويه وابي الدود ابو النوايح، اما اسود الزبد فكان عبدا ياوى الى قنطرة الزبد ويلتقط النوى ويستطعم من حضر ذلك المكان، محمد النجار، الشطار والعيارين، ص ٦٢-٩٢

(٥) محمد رجب النجار، الشطار والعيارين حكايات فى التراث العربى عالم المعروفة العدد ٤٥ المجلس الوطنى للفنون والاداب الكويت ١٩٨١ص ص ١٣-١٤.

(٦) ابو حيان: الامتتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٦٥ ، ابن الجوزى ، المنتظم ج ٧ ص ٧٧.

(٧) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ، ج ٣ ص ٢٢٧ ، ابو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٠٧.

(٨) صاحب النجوم: النجم احد الاجرام السماويه وصاحبها من يدرس احوال النجوم او الفلك وطرق سيرها فى سبيل ضبط المواقيت والانواء Almouajjam.com

(٩) الطبرى: المصدر السابق: ج ١٠ ص ٨٢.

ومن هؤلاء اللصوص العيارين عمران شاهين[١] أمير اللصوص بالبطائح بين واسط والبصرة الذى استفحل امره حتى تضاعف طمعة فى السلطان وتجرأ أصحابه على جند السلطان، وصاروا يطالبون من يمر بهم من قواد السلطان وعمالة (ولاتة) بحق المرصد والخفارة، فإن أعطاهم وإلا ضربوه وغلبوا على تلك النواحى، ولما لم تفلح الدولة فى القضاء عليه اجابه معز الدولة الى كل ما طلب وقلده البطائح ٣٣٩هـ/٩٥٠م.[٢] وقد صفه ابن الأثير بأنه: "قاطع طريق اجتمع عليه باعة من الصيادين، وباعة من اللصوص[٣] ومنهم ضبة بن محمد الأسدى. وكان قد استأثر لنفسه بمنطقة عين التمر، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطريق، فلم يشعر إلا والعساكر معه، فترك أهله وماله ونجا بنفسه وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر[٤] وذلك سنة ٣٦٩هـ/١٠٦٩م.[٥] ومن اللصوص الذين ظهروا فى أواخر القرن الرابع الهجرى (ابن مروان) احد رؤساء الاكراد، فكان ينهب السفن على الرغم من انها كانت تسير قوافل تسمى الواحدة منها بالكار [٦] ومن اشتهر فى اوائل القرن الخامس (ابن فولاز)[٧] اظهر العصيان وجعل يفسد ويغير ويقطع السبيل وقد ظهر فى دولة بنى بوية [٨] وحكى بعض التجار البغداديين انه خرج بسلع له يريد واسط وكان البريدى بها والدنيا مفتتنة جدا ويقصد الفتن الداخلية والتمزق السياسى واختلال الامن، فقطع عليه وعلى الكار(السفن) الذى كان فية لص يقال له ابن حمدى[٩] فأفقره، فسهل عليه الموت فطرح نفسه لابن حمدى لما سمع عنه من نخوة ومروءة ،ودار بينهم حديث طويل فرق له قلب ابن حمدى وامر باعطائه نصف ماله وارسل معه من يوصله الى مأمن نظرا لفساد الطريق [١٠].

وفى سنة ٤٢٤ هـ /١٠٣٢ م تمكنت تلك الجماعة من اغتيال صاحب شرطة بغداد[١١] ، وقامت فى سنة ٤٣٨ هـ /١٠٤٩ م بعدة مهام عسكرية ضد

---

[١] عمران بن شاهين: عربى ينتمى الى قبيله سليم نشا فى سواد العراق فى مدينة الجامدة تقع على الطريق بين البصرة وواسط ثم التجا الى البطائح بعد ارتكابه جريمة، فخاف ان يقبض عليه مؤلف مجهول: العيون والحدائق تحقيق عمر السعيدى، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات ١٩٧٣، ص ٦٤١.

[٢] ابن مسكوية: تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٧١. ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٣٦٢.

[٣] ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٤٨١.

[٤] عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غربى الكوفة ، ياقوت: معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٦.

[٥] ابن الاثير: الكامل ، ج ٨ ص ٤٨١.

[٦] ادم متز: الحضارة الاسلامية ، ج ٢ من ٤٠٠ ، نقلا عن مخطوط ديوان ابن الحجاج بلندن.

[٧]ابن فولاذ: كان ابتدأ أمرة وضيعا فنجم فى دولة بنى بويه بعد ان أظهر العصيان وجعل يفسد ويغير ويقطع السبيل، محمد النجار: الشطار والعيارين ص ٩٢.

[٨] ابن الاثير: الكامل ، ج ٩ ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

[٩] ابن مسكوية: تجارب الامم ، ج ٢ ص ٥١- ٥٥.

[١٠] الصولى: الاوراق ج ٤ ص ٢٣٨-٢٤٠.

[١١] ابن العماد: المصدر السابق ، ج ٥ ص ١١٩، لكن الذهبي، يذكر ان بهاء الدولة اعاد ابن النوى الى رئاسة شرطة بغداد و استطاع ان يردع العيارين لكن لم يستطع القضاء عليهم وتجدد نشاطهم فى سنة ٤٢٤هـ /١٠٣٣م ولم يقتل، تاريخ الاسلام، ص ٢٣٧.

الجند منها اقتحام احد سجون الدولة واطلاق سراح العديد من المسجونين بعدما قتلت حراس السجن وهم سبعة عشر حارسا [١] ، كما توسعت فى استهدافاتها ضد طبقات المجتمع الاخرى ومنها طبقة الاشراف ، فقاموا بنهب بيوتهم [٢] ، كما قاموا باعمال تخريبية طالت جميع مراكز الدولة اليويهية منها نهب الاسواق واحراقها ، والقرصنة على الطرق التجارية وغيرها [٣].

وبالرغم من أهمية التعزيزات الامنية فى العراق زمن الكوارث والازمات الا انها لم تكن كافية لدرء ذلك ، فكان العيارون يستغلون الفراغ الناتج عن تنقل الحراس او التعديل فى دوريات المداومة فيقومون بنهب الدور ويهددون من بها من السكان طلبا للمال [٤] ، فضلا عن اشاعة الفوضى وفتح السجون واطلاق سراح المسجونين وقتل رجال الشرطة [٥] كما كان ينضم اليهم العبيد والفقراء فى عمليات السطو المسلح

وكان السلوك العدوانى آفة اعتيادية ابتليت به بغداد والكرخ قام به الشطار والعباريون ، حيث آذوا الناس اذى شديدا واشهروا الفسق وقطعوا الطريق واخذوا النساء والغلمان فى الطريق...، وكانوا يسالون الرجل ان يقرضهم او يقتلوه فلا يقدر ان يمتنع عليهم ، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكاثرون اهلها ويأخذون ما قدروا عليه من متاع وغير ذلك ولا سلطان يمنعهم ، ولا يقدر على ذلك منهم لان السلطان كان يعتز بهم ، وكانوا بطانته ، فلا يقدر ان يمنعهم من فسق يرتكبونة ، وكانوا يجبون المارة فى الطريق وفى السفن وبأخذون الاجور على خفارة المساكن ويقطعون الطرق علانية ولا احد يقدر عليهم ، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم[٦].

ثانياً: أثر عمليات السلب والنهب على المجتمع

ان تزامن اعمال السلب والنهب مع الكوارث الطبيعية اضافة الى تراخى وضعف قبضة الدولة قد القى بظلال بالغة السوء على الاوضاع داخل مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية، حيث انعدم الامن وزادت الازمات الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية بدرجات متفاوتة على جميع شرائح سكان بغداد ،

---

[١] ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص ٣٩.
[٢] ابن العماد: المصدر السابق: ج ٣ ص ٢٠٧.
[٣] ابو المحاسن: النجوم الزهراء ج ٤ ص ١٠٧ ، مسكوية: تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٨.
[٤] ابن كثير: البداية والنهاية: ج ١٢ ص ٤٣١.
[٥] ابن كثير: المصدر السابق: ج١٢ ص ٤٣١.
[٦] حسين مؤنس: الحضارة ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

وكان لها تأثير ملموس على قدرة الخلافة العباسية نفسها فى البقاء [١] ويمكن استعراض اهم الاثار على النحو الآتى:

١- **انعدام الامن وشيوع الفوضى:**

أدت عمليات السلب والنهب الى انعدام الامن فى الطرق والمسالك الرئيسية من خلال ما يرويه البعض من قصص كان اصحابها شهود عيان على ما يحدث فى الطرق ، فتذكر كتب التاريخ والادب وغيرها اخبار وحكايات تعنى بالشطار من لصوص النهار وسراق الليل وطراق البلدان وقاطعى الطريق من ذوى المروءات وغيرهم من طوائف اللصوص ، وجاء فى المقامة الرصافية لبديع الزمان الهمذانى (٣٥٨- ٣٩٨ ه) ذكر بعض طوائف الشطار وحيلها الماكرة ، وقع الهمدانى نفسة ضحية مكرهم ، كما قطع الطريق علية اكثر من مرة فى هذة المقامة الرصافية [٢].

كما أسهمت عمليات السلب والنهب فى اشاعة جو من انعدام الامن والفوضى بعد ان عجزت الدولة عن توفير الحماية للناس خصوصا من جماعة العيارين ومن بلطجيتها وفى سنه ٣٦١ هـ / ٩٧١ م قام العيارين باشعال فتنه بالجانب الغربى من بغداد تخللها كثير من القتل والنهب، حيث استولوا على بغداد وهاجموا المنازل وتعرضوا للحريم، وزاد العيارون من مفاسدهم من سنة ٣٦٤ هـ /٩٧٤ م، فركبوا الدواب وتلقبوا بالقواد وسيطروا على الامور واخذوا الخفائر على الاسواق والدروب فخاف التجار على انفسهم واموالهم واثاروا النعرات الطائفيه بين السنة والشيعة [٣] وفى سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م تفاقم خطر العيارين في جانبى مدينه السلام وأوقعوا الكثير من الحرائق فى المحال وهاجموا المنازل ونهبوا الاموال، وفى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م ازهقوا النفوس ونهبوا الاموال وفعلوا ما أرادوا وأحرقوا الكرخ وامتد شرهم الى رجال الحكومة بها وخرج اصحاب الشرطة من البلد خوفا منهم وقتلوا الكثير من المتصلين بهم.[٤] بل وقتلت بعض افراد اجهزة السلطة ، فى سنة ٤٢٤ هـ /١٠٣٢ م. كما كان لضعف الإجراءات الأمنية فى العراق إبان العهد البويهى نظراً لشدة الأزمات الاقتصادية واضطراب الأحوال الاجتماعية قد أدى إلى

---

[1] Waines , David. The pre- Buyid Amirate:Two Views from the past , International Journal of Middle East studies ,Vol.8,No.3(jul.1977),pp.339-348,esp.,p 346.

[٢] شرح مقامات الهمذانى ، ص ١٦٤ – ١٧٢.

[٣] مسكوية: تجارب الامم، جـ ٢ ص ٣٠٥-٣٥٥.

[٤] ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢١، أبن الاثير الكامل، جـ ٨ ص ١٥٣.

حدوث عمليات نهب منظمة أزهقت فيها أرواح وسفكت فيها دماء، الشيء الذى يعكس خطورة السلوكيات العدوانية التى أفرزها واقع الأزمة ومخلفات الكوارث الطبيعية فقل الإنتاج وكثر المتعطلين عن العمل[١]. اضافة إلى مدى الهلع والخوف الشديد الذى تملك الناس جراء انتشار أعمال السلب والنهب، ولهذا كثرت مظاهر الغضب والتعدى من قبل اللصوص (العيارين) على الطعام والمال والأرض والماء [٢].

٢. **سوء الأحوال الاقتصادية:**

إن الكوارث الطبيعية التى عاشتها بغداد خاصة والدولة العربية الإسلامية بصورة عامة أثرت بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والأسواق بشكل مباشر، فأصبح الغذاء وزيادة الأسعار مصدر فزع شديد لدى عامة الناس وهذا يؤدى بلا شك لحدوث حالات الشغب[٣]. ،ان تزامن الكوارث الطبيعية مع اعمال السلب والنهب قد أثر بشكل كبير على الاحوال الاقتصادية لسكان بغداد،ولا شك أن استمرار الحروب قد أضر كثيراً بالزراعة، إذا نجم عنها أعمال تخريب متعمدة لضفاف الأنهار، ومن أجل استعمال المسطحات المائية عوامل حماية أحياناً أو عوامل عرقلة أمام تقدم الجيوش المتحاربة أحياناً أخرى، وقد يستعمل الماء كوسيلة لتخريب المعسكرات أو حتى القرى لإجبار السكان على الجلاء عنها [٤].

ومن العوامل الاخرى التى أثرت على الزراعة إهمال أعمال الصيانة والترميم للسدود والقناطر بسبب انشغال الجهاز الإدارى وفقدان الأمن قد زاد من سوء الأحوال، إذا نجم عن ذلك انهيار فى أنظمة الرى الزراعى وحرمان مساحات كبيرة من الأراضى والقرى من المياه، مما أدى إلى تحويل المناطق الزراعية إلى أرض بور، بالإضافة إلى أن الزنج[٥] تعمدوا إشاعة الإرهاب لإجبار السكان على الانضمام إليهم أو الجلاء إلى مناطق سيطرة العباسيين، مما

---

[٢] ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٢٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤ ص ١٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٩.

[٢] ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد، ج ٢ ص ٣٢٠، الوليدى: الحلال والحرام، ص ٢٦٧ – ٢٧٠.

[٣] الصولى: الأوراق، ص٦٦ – ٧٤، ابن الأثير: الكامل، ج٦ ص ٢٢٧، الكبيسى: أسواق العرب، ص٨٣ – ٨٤.

[٤] الصولى :تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، ص٩٤، السامرائى: دراسات فى الاقتصاد الزراعى، مجلة البحث العلمى، العدد الخامس، لسنه ١٤٠٢هـ،ص٣٦٢.

[٥] الزنج (بالانجليزية Zanj) وتعنى السود وصف أطلقه الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى على الزنج وهم أناس ذو لون اسود وأنوف مسطحة وشعر غريب قاموا بثورة ٢٢٥-٢٧٠هـ /٨٦٩-٨٨٣م) قاموا بثورة اندلعت فى جنوب العراق وامتدت الى ايران تحت قيادة رجل عربى اسمة على بن محمد فارسي الاصل إدعى انه من نسل على بن أبي طالب https//www.mareba.org , Wikipedia.org.wiki

شكل عبئاً مالياً إضافياً[١]. وهناك نصوص تشير إلى ضلوع أجهزة السلطة فى أعمال السطو والغصب فى ظل الواقع المثخن بالكوارث، أسفر عن خلل فى حال القرى فى العمارة، فعظم الخراب وما تبعه من الغلاء والنهب وازدياد الظلم ومصادرة الرعية وإهمال النظر فى وسائل الرى كالترع والقنوات والقناطر، ومما زاد الطين بله هو اضطراب الأمن وانتشار السلب والنهب[٢].

وقد يقترن الدمار الطبيعى مع الأحداث السياسية التى تؤدى إلى اضطراب اقتصادى، مما يترتب علية هجرة السكان من مناطق مجاورة ببغداد، وهذا ما حدث سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م حيث قام ابن رائق بإحداث شق متعمد فى النهروان فى محاولتة الفاشلة للدفاع عن امارته أمام القائد التركى بحكم من وسط العاصمة بغداد،فتضررت منطقة ديالى[٣]، وكذلك تحول النهروان إلى أسفل ديالى، واجهت المنطقة الكثيفة السكان على أثرها مشكلة شح المياه، مما لم يكن له حل سوى الهجرة المؤقتة، وانعكست آثارها على بغداد حيث عانت من ندرة الحنطة بها، كما كانت تعانى أيضاً من انتشارها، وازدادت أحوالها سوءاً بسبب هجرة أهالى ديالى إليها[٤] وكان اندلاع الحروب الداخليه بين الامراء على تقلد منصب امره الامراء سببا فى تحطم الحياة الاقتصادية والاوضاع الزراعيه مما يؤدى الى ارتفاع الاسعار وانتشار الفقر والمجاعة كما حدث فى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م وقد ادى ذلك الى هروب السكان وموت اعداد كبيرة منهم[٥] وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م حدث غلاء شديد وهي نفس السنة التى سيطر فيها البويهيون على بغداد حيث اشتدت المجاعة بالناس وانعدام الخبز فاضطر الناس الى سد رمقهم باكل الميته من الحيوانات والحشائش بل وأكلوا لحوم الناس الموتى فلحقهم من جراء ذلك امراض خبيثة واورام سرطانية مات اكثر المرضى على اثرها، ولهذا اضطر الناس من اهالى ديالى الى الهجرة الى بغداد والهجرة والبصرة متتابعين لأكل التمر فمات اكثرهم بالطريق [٦]

وهكذا اسهمت الكوارث الطبيعية والفتن فى إجبار الناس على الرحيل لا سيما فى بلاد العراق وخاصة بغداد كسلوك يعكس رغبتهم فى البقاء، فصارعوا الموت البطئ بكل الوسائل بما فيها الهجرة والفرار، حيث اعتقدوا النجاة والخلاص.

---

[١] البغدادى: تاريخ بغداد، ج١ ص ١٢٤.

[٢] وصف الحميرى هزيمة العقاب بقول (كانت المصيبة العظمى الحادث الشنيع بهزيمة العقاب)، الروض المعطار، ص ٥٩٨.

[٣] ديالى هى منطقة ملاصقة للعاصمة بغداد، بل وتعد من أطراف بغداد ويطلق عليها القسم الشرقى من ريف بغداد، أحمد إسماعيل: الكوارث الطبيعية وإنعكاساتها على الحياة الإجتماعية ببغداد، ص١٨٥.

[٤] ابن الجوزى:المنتظم، ج ١٣ ص ٣٧٤، الصولى: أخبار الراضى، ص ١٠٦.

[٥]الصولى: اخبار الراضي، ص ٢١٧.

[٦]ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١، ص ٣١٠٣.

وقد أشار ابن الأثير إلى عدة سنوات كانت فيها المجاعة هى الأساس التى أدت إلى هجرة السكان من بغداد إلى ما جاورها من مدن أو بلاد، فنظراً لاشتداد المجاعة ببغداد فى سنة ٣٣٤هـ /٩٤٥ م بسبب الغلاء مما دفع بالناس إلى أكل الميتة والكلاب، وضروب الشوك وأكثروا منه، وكانوا يسلقونه حبا ويأكلونه فلحقهم أمراض و أورام فى أحشائهم فكثر فيهم الموت، فانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم بالطريق ومن وصل منهم مات بعد فترة يسيرة [١]، وفى سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م لما أشتد الغلاء بالعراق واضطراب الناس فسعر السلطان الطعام فاشتد البلاء مما دعاه إلى إزالته، فخرج الناس جراء ذلك من الموصل والشام وخراسان[٢]، كما حدث غلاء شديد بالعراق سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م. مما دعا إلى خروج أكثر أهله[٣].

كما كان هناك نزوح جماعى فى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م لأهالى بغداد إلى واسط عبر النهروان بسبب الجفاف والقحط[٤] وغلاء الأسعار. واشتداد المجاعه على أهل القرى مما جعلهم يدخلون إلى بغداد بعد أن أخذت أموالهم وهلكوا جوعاً وعريا[٥].

٣- **ارتفاع الأسعار**:

تعد ظاهرة ارتفاع الأسعار من الظواهر التى تتزامن مع حدوث الجفاف أو تلف المحاصيل بفعل السيول التى تؤدى إلى جرف مساحات واسعة من المناطق وإتلاف المحاصيل ولا سيما فى أوقات الفيضان ولا نغفل أثر سقوط حبات البرد الكبيرة والأمطار الغزيرة أو بفعل العواصف أو هجوم موجات الجراد، لذلك ربط ابن هيدور علل الغلاء بالمؤثرات الطبيعية دون أن يفصلها عن العوامل البشرية فقال (أن الغلاء لحدوثة سببان: إما احتباس المطر، و إما لظهور الفتن والحروب.. والوباء لازم من لوازم الغلاء، كما أن الغلاء من لوازم الفتنة الدائمة)[٦].

وفى هذا المضمار تتوافر الكثير من النصوص المؤكدة لنظرية ابن هيدور بحيث قلما نجد كارثة من الكوارث الطبيعية لا تقترن بالغلاء، فتارة يكون

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ١١٩ – ١٢٠.
[٢] ابن الأثير:الكامل، ج ٧ ص ٢٢.
[٣] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٢٩٨.
[٤] ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٦ ص ١٧٦.
[٥] الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٢٧ ص ١٦.
[٦] ابن هيدور: ما هية المرض الوبائى، ورقة ٢.

الغلاء سبباً لتفشى الكوارث والأوبئة وتارة اخرى يكون نتيجة لها والعكس صحيح، وعرف الثلث الأول من القرن الرابع سلسلة من أزمات الغلاء الحادة، ففى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م أصيبت الغلات واشتد الغلاء[١]، وفى سنتى ٣٠٧ – ٣٠٨ هـ عصفت ببغداد سلسلة من الاضطرابات ضد الغلاء فى عهد المقتدر وسبب الغلاء هو ضمان الوزير حامد بن العباس أراضى الخراج بمبالغ تزيد عن المعدل السنوى ب ٤٠٠ ألف دينار،وهو ما علمه على بن عيسى[٢] نظراً لمعرفتة برغبة حامد فى رفع الأسعار[٣]،ولكن المقتدر خضع للمغريات المالية وعقد الضمان لحامد، فما لبث أن ارتفع السعر، فتحركت بغداد بعامتها وخاصتها، ووقع شغب عظيم، ونفى حامد وقوع الغلاء وذكر بأن سعر الخبز الحوارى ٨ أرطال بدرهم، واستمر الشغب وهاجمت العامة دكاكين الدقاقين، فتحرك القصر وأمر حامد بإزالة احتكار القمح لتنحط الأسعار، إلا أن هذه الإجراءات لم تكن كافية، فتحرك الجند لارتفاع الأسعار وسيطرت العامة على المساجد ونشبت المعارك فى بغداد ومساجدها بين العامة والشرطة ووقع القتلى من الطرفين، فأمر الخليفة بتسعير القمح والشعير وخفض سعر الكر خمسة دنانير، إلا أن نصر الحاجب طلب اطلاق الغلات وعدم التسعير فانتهت الأزمة[٤]، وهذا الأمر يكشف خبايا وضع إنسانى متدهور هو بسبب الأزمة الغذائية التى بلغت ذروتها بالارتفاع المفاجئ للأسعار والاختفاء السريع للحبوب فاستفحلت المجاعة وانعدمت الأطعمة.

وقد كان محاولات الدولة تسعير المواد الغذائية تؤدى إلى ارتفاع الأسعار وأعمال وسطو وشغب، ومن أمثلة ذلك ما حدث فى سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م عقب نزول برد شديد اضر بالنخل والشجر كما سقط ثلج كثير مما ادى إلى ارتفاع الأسعار بالعراق وأعتقد البعض أن السبب فى ذلك هو وضع الدولة سعرا على بائعى الدقيق مما ترتب عليه ضيق الناس وضجرهم الدائم فأشار نصر الحاجب على الخليفة أن يترك الناس ولا يسعر عليهم فكان ذلك صواباً وصلح أمر السعر[٥].

واستمرت الأسعار تتصاعد ببطء حتى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤م حيث وقع الغلاء فبلغ ثمن الكرين من القمح والشعير ١٢٠ ديناراً أى بزيادة ٣٠ ديناراً

---

[١] الصابى: الوزراء، ص ٢٨٣ – ٣٠٧.

[٢] على بن عيسى، الوزير ابو الحسن الجراح البغدادى الكاتب، وزر غير مرة للمقتدر و القاهر وكان عديم النظر فى فنه (٢٤٠هـ -٣٣٤هـ)، الذهبى: سير اعلام النبلاء جـ ١٠، ص ٢٩٨، eslamweb.net

[٣] مسكوية: تجارب الأمم، ج١ ص ٧٠ – ٧٥.

[٤] مسكوية: تجارب الأمم،ص٧٥،عريب: صلة تاريخ البطرى، ص ٧٧.

[٥] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦ ص ٨٢.

على السعر الطبيعى الذى قرره قدامه فى نهاية القرن الثالث[١]، وكان الخبز قد بيع فى هذا العام اربعة أرطال بدرهم وأظهر قوم من بنى هاشم المصاحف وشكوا الجوع، وفى العام التالى ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م شغب العامة فى مسجد الرصافة[٢] لغلاء السعر، وأشار الوزير بأن سعر المكوك[٣] من الدقيق بثلاثة دراهم، وأمر فى شهر المحرم بأن يتعامل الناس بالدراهم الرديئة من غليظ وممسوح ولم يصلح السعر إلا بعد أن وجه الحسين بن عبدالله الحمدانى بمائة كر من الدقيق لتوزع على أشراف بغداد وفقرائها، وانحدرت زواريق الدقيق كثيرة للتجار تحمل القمح إلى بغداد، وفى جمادى من نفس العام عز الخبز والدقيق فى بغداد وسواها، كما وقع الطاعون فى بغداد ففنى الكثير من سكانها[٤].وفى سنة ٣٢٦ هـ / ٩٤٧م تسببت حملات ابن رائق فى تخريب النهروان وشبكة الرى وحوله، فافتقر الناس وغلت الأسعار، ووقع الغلاء فى العام التالى ٣٢٧هـ/٩٤٨م وبيع القمح بالسعر الاعتيادى سنة ٣٢٩هـ/٩٥٠م بسعر ٢٥ ديناراً للكر[٥]، ثم لم يلبث أن وقع الغلاء فبلغ الكر من الدقيق ١٦٠دينارا وكثر الموت ببغداد ويرجع السبب فى ذلك لشح الأمطار[٦]. ففى سنة ٣٢٩ه/٩٤٠م كان بالعراق غلاء شديد وارتفاع بالأسعار بسبب انقطاع المطر لعدة شهور، وتفشى الأمراض وكثر عدد المرضى وانتشر الوباء[٧].

وفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م فى جمادى الأخر بيع الرطل من الخبز فى عسكر البريدى القريب من بغداد بدرهم واحد ثم اختفى، ثم رجعت الأسعار بعد هدوء حركة العيارين واستقر الوضع، ولكن عز الدقيق فى بغداد بعد ذلك وبلغ المكوك ٦ دراهم ولم يصلح السعر إلا بعد وصول كمية من الدقيق إلى بغداد[٨]، ثم قفز السعر فبيع الكر من الحنطة ب ٢١٠ دنانير، ثم ٣١٦ ديناراً، وأكل الفقراء الميتة ودام الغلاء وكثر الموت وخرج أصحاب السلطان إلى قرب بغداد فأغاروا على ما حصد من الزرع[٩].،وترجع أسباب هذا الغلاء إلى ما فرضه

---

(١) الهمذانى: تكملة الطبرى، ص ٩٣، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦ ص ٢٢٧.

(٢) الرصافة: تقع بالجانب الشرقى من بغداد ثم المهدى من المنصور بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ وبها مقابر جماعة من خلفاء بنى العباسى ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٦.

(٣) المكوك: مكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه فى البلاد قيل يسع صاعاً ونصف، www.almaany.com.

(٤) الصولى: أخبار الراضى، ص ٦١، ٧١، ٨٣.

(٥) الصولى: أخبار الراضى، ص ١٠٦، ١٢٣، ١٤٨.

(٦) الهمذانى: تكملة الطبرى، ص ١٢٠، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦ ص ٣١٨.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٦٨، ابن الجوزى:المنتظم، ج ١٣ ص ١٤٠٣، النويرى: نهاية الإرب، ج ٢٣ ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٨) الصولى: أخبار الراضى، ص ٣٢٣ – ٣٢٦.

(٩) السيوطى: أخبار الخلفاء، ٤٢٥، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٦ ص ٣٢٦، ابن كثير: ج ١١ ص ٢٣٩.

البريدى[١] من رسوم على الحنطة والشعير وأصناف الحبوب بمعدل خمسة دنانير، فارتفع سعر الحنطة إلى ٣١٦ ديناراً، وبيع الخبز الخشكار كل رطل بقيراط صحيح أميرى[٢]، ويبدو مما سبق حجم المحن التى كابدها الإنسان فى العراق فى صراعه المرير ضد جبهات الغلاء والجوع والوباء، وجاءت سنة ٣٣١ هـ/٩٤٢م قاسية على البغداديين، ففى رجب غلت الأسعار وكثر الجراد فصاده الناس وانتفع الضعفاء بأكله وصيده، وعز كل شئ من سائر الأطعمة والملبوس حتى أكل الناس الكلاب، وفى ذى القعدة كبس أهل قطيعة الدقيق فأخذ منهم عشرون كراً دقيقاً وأحيلوا بثمنه على أحد رجال السلطة، ثم مضى جماعة من أصحاب أمير الأمراء توزون إلى القطيعة ليأخذوا دقيقاً كما فعلوا من قبل، فوثبت بهم العامة وقتلت منهم نفسين وغلا السعر بعد هذه الاضطرابات وفقدت الفاكهه[٣]، وبيع العقار بالرغيف.

وفى سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م غلت الأسعار فى بغداد والمناطق المحيطة بها، حتى بيع القفيز من الدقيق الخشكار بنيف وستين درهماً، وبيع الخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم، وكثرت الأمطار حتى خربت المنازل، ومات خلق كثير تحت الهدم، ونقصت قيمة العقار حتى صار ما يساوى ديناراً يباع بأقل من درهم حقيقه، وما يسقط منه لا يعاد، وتعطل كثير من الحمامات والمساجد والأسواق، وذكر ان كر الدقيق بلغ عشرة الاف درهم فى مجاعة سنة ٣٣٤هـ /٩٤٥م. ويفسر الصولى[٤] أسباب هذا الغلاء باضطراب حبل الأمن فى بغداد وجوارها فخاف التجار على غلاتهم، وكثرت حملات اللصوص بالليل حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول وكثرت الفتن من كل جهة، فيقول "فى تكريت كان نحو من مائة وخمسيين زورقاً فيها دقيق وحنطة وشعير وسقط وشحم وثياب تنتظر أمن الطريق إلى بغداد"، فكان طبيعياً أن يؤدى هذا التلازم الكارثى المتنامى إلى خراب العمران[٥].كما منع أصحاب ناصر الدولة الحمدانى فى الجانب الغربى وصول الغلات إلى البويهيين فى الجانب الشرقى، وغلت الأسعار حتى بيع الخبز فى الجانب الشرقى كل رطل بدرهم وربع الدرهم، بينما كان يباع فى الجانب الغربى كل خمسة أرطال بدرهم لورود الغلة إلية من

---

[١] البريدى: اسم لثلاثة اخوة كان اولهم صاحب البريد فى البصرة ايام المقتدر بالله وخلفائة، المسعودى: فروح الذهب، جـ ٤ ص ٢٤٧.

[٢] ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٣١٨.

[٣] الصولى: المصدر السابق، ص ٢٣٧ – ٢٤٤، ابن الجوزى: المنتظم، ح٦ ص ٣٣١، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٥.

[٤] الصولى: اخبار الراضى، ص ٢٥١.

[٥] ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٩١.

الموصل[١]. وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ايضا أثناء الصراع بين معز الدولة البويهى وناصر الدولة الحمدانى اشتد الغلاء ببغداد ووقعت مجاعة عظيمة بسبب القحط حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير [٢] والروث، وبيع الدور والعقار بالخبز (بالرغفان) وانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة[٣] فمنهم من مات فى الطريق.

وأشارت المصادر إلى طعام العوام فالبغدادى[٤] يذكر أنهم يستهلكون السويق والحمص شهرين والحمص شهرين أو ثلاث عند عدم الفواكه مع كونه غير طيب[٥]، واخرون يقولون ان عوام العراق ارتبط غذاؤهم فى ظل الفترات العصبية على أنواع عديدة من الغذاء لسد رمقهم مثل التمر والباقلاء الخضراء، الخرنوب والشوك، واوراق الخس والحشيش والتوت[٦]. ولهذا هإن ارتفاع أسعار الحبوب قد يكون مؤشراً لقياس مدى حدة الكوارث وشدة القحوط والمجاعات، علاوة على قياس مدى معاناة الناس بسبب قلته أو انعدامه، وفى هذا المقام اعتبر أحد الباحثين (القمح صاحب الفضل فى تاريخ بلدان حوض البحر المتوسط وغيره)[٧]. كما شهد العراق ارتفاعاً فى الأسعار فى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م واضطرب الناس فقامت الدولة بتسعير الطعام لتخفيف الأزمة، لكن الأزمة تضاعفت بعد التسعير واشتد الضرر بالجميع، ودعت الضرورة إلى التراجع عن التسعير ليسهل الأمر واستقر الحال وترتب على الغلاء خروجالناس من العراق إلى الموصل والشام وخراسان[٨]. وعندما وقع الجفاف سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م فى بغداد بلغ سعر الرمانة والسفرجلة[٩] ديناراً[١٠]، وقد ورد فى أحداث سنة ٤٤٩ هـ/١٠٧٥ م أن الرجل إذا كان لديه أرض دفع إلية ثمنها عشرة دنانير فلم يبعها فباعها حينئذٍ بخمسة أرطال خبز وأكلها ومات من

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٣١٦، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٤.

[٢] السنور: حيوان اليف من الفصيلة السنورية ورتبة اللحوم من خير مآكله الفار منه اهلى وبرى وهى سنوره www.almaany.com.

[٣] التنوخى: نشوار المحاضرة، ج ١ ص ٣٥١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج ١ ص ٣٢١.

[٤] حكاية ابي القاسم البغدادى ص ٤٢-٧٢، ٩٢،٩٣، ١٠٠، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١ ص ١٩-١٢٠.

[٥] التوخى: نشوار المحاضرة، ج ١ ص ٢٠٩.

[٦] الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٤ ص ٢٠١، ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٣٨٦.

[٧] بروريل: البحر المتوسط والعالم المتوسط، ص ٣٢.

[٨] ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص ٢٠٨.

[٩] السفرجل: هو نوع نباتى يتبع الفصيلة الوردية من رتبه الورديات وهو قريب من التفاح والكمثرى، mawdoo3.com

[١٠] ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٣٣٥.

وقته وكثر الوباء[١].

ومن الملاحظ أنه كلما اندلع قحط أو مجاعة أو هجوم للجراد على المحاصيل إلا وارتفعت أسعار المواد الموجهة لسد حاجيات الاستهلاك المعيشى، وخاصة منها الحبوب(القمح والشعير) التى ارتكز عليها غذاء السكان فى العراق، ولم يعد بإمكانهم الحصول عليها بسبب اقبال التجار والخاصة على اقتنائة جملة، وتجفيف مادته من الأسواق، فضلاً عن تدنى مستوى دخل العوام، فاقتصروا على الأصناف المتوسطة الجودة والضعيفة إلى جانب خبز الخشكار[٢].

ثالثاً: موقف الدولة الرسمى من عمليات السلب و النهب

حاولت الخلافة العباسية التصدى لحالات السلب والنهب من أجل تخفيف وطأتها على الناس ففى سنة ٣٠٢هـ/٩١٥م فى عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٨٢ – ٣٢٠ هـ) وعقب طواعين حنين والماسرا ووباء الحربية ووباء داء الكلب فى سنتى ٣٠٠ و ٣٠١ هـ وتأثيرهما السئ على بغداد قام الأعراب من بنى شيبان بقطع الطريق وأخذ أموال التجار، فكلفت الخلافة العباسية مؤنس[٣] الخادم بالقبض عليهم ونجح بالإيقاع بهم بناحية وادى الذئاب، فقتل منهم خلقاً كثيراً ونهب بيوتهم وأعاد الكثير من أموال التجار التى أخذوها بقطع الطريق[٤].

وفى عام ٣٠٣ هـ / ٩١٦ م عانى الحجاج من قلة الماء وشدة العطش، ولما عادوا خرج عليهم جماعة من العرب وحاولوا الفتك بهم مستغلين ظروفهم السيئة، فنجح أبو حامد ورقاء بن محمد المكلف من قبل الخلافة بحفظ الطريق (وإلى طريق الكوفة – مكة) بقتالهم وقتل جماعة منهم كما أسر الباقين وحملهم إلى بغداد، فأمر الخليفة المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة، فلما علم العامة بذلك ثاروا عليهم وقتلوهم وقاموا بإلقائهم فى نهر دجلة[٥].

وفى سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م حيث اخفى تجار بغداد المواد الغذائية التى كانت تباع بأسواق العاصمة، مما أدى إلى ندرتها فى الأسواق، ومن ثم زيادة أسعارها بحيث تعذر على افراد الطبقة الفقيرة الحصول على قوت يومهم ولولا ما فعلوه

---

[١] الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٧٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٣٣٩.
[٢] الخشكار: خبز لم يكتمل طحينه، قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٤.
[٣] مؤنس الخادم الاكبر الملقب بالمطفر المقتضدي احد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك فى العصر العباسى ولى دمشق للمقتدر ثم جرت له امور وتولى قيادة الجيش فحارب المقتدر وقتله https://arm.wikipedia.org.wiki.
[٤] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦ ص ٢١٩٢ – ٢١٩٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٨ – ص ٤٤.
[٥] ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص٤٦.

من احداث شغب وغيرها لما كان من رد فعل الخليفة من اجبار التجار على إنهاء الازمة بفتح دكاكينهم وإعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد فضلا عن ضمان سلامة وزيره[١].

ولم يستثن الخليفة المقتدر من البطش عماله الذين ثبت تورطهم فى أعمال الغضب والتعدى فى الظروف العادية والاستثنائية معتبراً تقصيرهم سبباً فى اندلاع الأزمة المؤدية إلى الضيق، مثلما حدث فى الموصل سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م حيث اندلعت فتنة بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة[٢] فاحترقت سوق الأساكفة وما فيه وقت كان فيه والى الموصل العباس بن محمد بن اسحاق فى كنداج غائباً عنها، فلما رجع أراد أن يبطش بأهلها فلما علموا بذلك عزموا على قتاله وحصنوا البلاد وسدوا الدروب، فلما عرف بذلك ترك قتالهم وأمر الأعراب بتخريب الأعمال فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفى الميدان ويقاسمونه ، مما أدى ألى خراب البلد[٣].ولما علم الخليفة بالخبر قام بعزله سنة ثمان وثلاثمائة وعين مكانه عبدالله بن محمد الفتان ، وكان عفيفا صارما نجح فى كف الاعراب عن البلدان وأعاد الهدوء والاستقرار الى الموصل [٤].

وقام الخليفة المقتدر بتكليف خمسة آلاف فارسا من قبيلة بنى أسد بتأمين طريق الحج العراقى ومساعدة الحجاج والمسافرين، كما قامت الدولة العباسية بدفع مبلغ مالى أشبة بالاتاوة للقبائل والجماعات صاحبة الاعتداء على المسافرين على الطرق فى مقابل ضمان سلامتهم، مثلما حدث فى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، حيث دفعت للقرامطة من أجل تأمين مسافريها عبر طريق الكوفة مكة[٥].

ولم يتوان العباسيون فى إنزال أقصى العقوبات باللصوص وقاطعى السبل، ففى عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م غلت الاسعار ببغداد وكثرت الامطار حتى خربت المنازل ومات خلق كثير تحت الهدم ونقصت قيمة العقار ، وكان ما يسقط من الابنية لا يعاد ، وتعطل كثير من الحمامات والمساجد والاسواق لقلة الناس وكثرت الهجمات من اللصوص بالليل والنهار من أصحاب ابن حمدى[٦] وتحارس الناس بالبوقات فى الليل وامتنع عنهم النوم خوفا من كبسات هذا اللص

---

[١] مسكويه: تجارب الأمم، ج ١ ص٧٤.
[٢] الاساكفه: مفردها اسكافي: صانع الاحذية ومصلحها .www.almaany.com
[٣] ابن الاثير: الكامل ، ج٨ص ٥٨.
[٤] ابن الاثير: الكامل ، ج٨ ص٥٨.
[٥] ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص٢٦٩ – ٢٧٠، مصطفى على، درب زبيدة، ص ٤.
[٦] ابن حمدى ،كان لصا مشهورا فى القرن الرابع الهجرى بدا حمالا فى اسواق بغداد ثم صار ينهب الاموال من اهل بغداد واسواقهم ، وتجارتهم وقطع الطريق ، ابن مسكويه ، تجارب الامم،ح٢،ص٥١-٥٥.

وأصحابه وعظم أمر ابن حمدى وخلت المنازل ببغداد من أهلها وصاروا يطلبون من يسكن الدار بأجرة يتعاطاها ليحفظها ، فأعجز الناس وامنه ابن شيرزاد[١] ، وخلع عليه وشرط معه أن يعطيه كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه ، وكان يستوفيها من ابن حمدى بالروزات (ايصالات رسمية)فعظم شره ، ثم نجح صاحب الشرطة فى بغداد أبو العباس الديلمى بالظفر به فقتله [٢].

لقد أسهمت الكوراث الطبيعية المتنوعة فى العراق فى رسم سلوكيات عدوانية بمحاور الطرق والمسالك التجارية وتفاقم ضرر عصابات اللصوص ، واعتبر الخلفاء العباسيون تأمين السبل وتمهيد الطرق من أفضل الاعمال لذلك اتخذت إجراءات أمنية احترازية للتخفيف مما قد يعقب الكوارث لذا قاموا بتغطية الرقعة الخيلفية بشبكة من الجواسيس لضمان الامن السياسى والاجتماعى ، وكان من أهم وسائل الحماية خصوصا فى القرون الاولى نظام المسالح ، مجموعة من الجند تتولى تنشيط الطريق وتنظيفه لتسهيل مرور القوافل وتستقر قرب الحدود وتجس اخبار العدو وترد هجومه وتنذر به الجهه المعنية [٣].

وقام الاقوياء من ملوك بنى بويه مثل عضد الدولة باستتباب الامن ومطاردة قطاع الطريق وحماية القوافل من الاكراد والعيارين والعرب ، ففى سنة ٣٩٦هـ/٩٧٩ م تمكن أحد القادة وهو أبو العلاء النصرانى من الظفر بقبيلة بنى شيبان التى عرفت بالنهب والغارة والتلصص وقطع الطريق ، فقتل أغلب مقاتليهم وأسر رؤساءهم ووجوهم وحبس منهم ثمانمائة وتفرق من نجا منهم فى الاطراف والبلدان البعيدة وزالت عن أعمال بغداد مضرتهم [٤].

ومن اجل التخفيف من وطأة الازمات الاقتصادية قام عضد الدولة بالدفاع عن حقوق الفلاحين وردها اليهم ، فكان إذا أصيب الزارع بضرر فى محصوله يعوض بالمال وكذلك قام بمنع الجباة الذين يجلبون الضرائب من ظلم الفلاحين ، كما عمل على رد حقوق الفلاحين من كبار قادة الجند الذين تعدوا عليها [٥] واهتم بحفر الابار وتنظيف مجارى المياه وذلك بعد اهمالها فى عهد معز الدولة

---

[١] شيرزاد تولى امره الامراءسنة ٣٣٤هـ ، بعد موت توزون،ابن الاثير: الكامل ، ج٨ ص ١٢١.
[٢] ابن الاثير: الكامل ،ج ٧ ص٩١ ، ادم متز:الحضارة الاسلامية ، مج١ص٣٠ -٣١ ، مج٢ ص٤٠٠ -٤٠١.
[٣] ابراهيم حركات: المجتمع الاسلامى والسلطة فى العصر الوسيط ص٢٦٥.
[٤] مسكويه: تجارب الامم ، ج ٢ ص٣٩٩ ، مصطفى التواتى: المثقفون والسلطة فى الحضارة العربية ،ج١ ص٩٩
[٥] الرزرواى:زيل تجارب الامم ، ص ٤٨.

وابنه الذين لم يهتما بذلك [١]. كما دعا العلماء الى توفير العدد الكافى من حراس الليل لحماية المخازن والمتاجر والاسواق [٢].

كما لجأت الدولة العباسية من جانبها على كسر الاحتكار بعدة وسائل منها تسعير السلع

ونقل المواد الغذائية الى المناطق المتضررة لضرب هذا الاحتكار ، مثلما حدث فى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م ، حيث شغب العامة لغلاء السعر حتى عدم الخبز لمدة خسمة ايام ، فتصدى الوزير ابن مقلة لعلاج الامر ، فأشار على الخليفة بتسعير المكوك الواحد من الدقيق بثلاثة دراهم [٣].

ولما اشتدت الازمة من جراء التسعير الذى قام به الوزير ابن مقله أرسل الحسن بن عبدالله الحمدانى أمير الموصل مائة كر دقيقا لفرق على المعوزين فى سامراء أو بغداد ، ثم تبعتها زوارق كثيرة للتجار مما أدى إلى انخفاض سعر السلع [٤] ، وتكررت إرساليات أمير الموصل عدة مرات مثلما حدث فى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨ م فقد أنقذ ناصر الدولة الحمدانى من الموصل الى بغداد زواريق فيها دقيق وشعير [٥] ،ولعل هذا التعاون المتبادل من الحكام ساعد على تخفيف أزمة الغلاء وتوفير المواد الغذائية وضرب الاحتكار. كما صادرت الدولة العباسية عشرين كرا من الدقيق من المحتكرين سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م[٦].

وكان تحديد الاسعار أحيانا يؤدى الى تفاقم الازمة فيعمد التجار الى اقفال مخازنهم يخبئون فيها بضائعهم [٧] فترتفع الاسعار مما يضطر السلطات عن التراجع عن قراراها كما حدث فى سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩م ، فبعد تسعير الطعام اشتد الضرر بالجميع فدعت الضرورة للتراجع عن التسعير[٨]، وكان فى استطاعة ممثل الحكومة بالعراق أن يمنع بيع الحنطة مثلا لتاجر محتكر لان فى ذلك ضرر لعامة الناس ، كما قامت الحكومة [٩] بمنع بائعى الحبوب والدقاقين من احتكار الغلة. كما كانت الدولة تدفع أرزاقا عينية من الحنطة والشعير

---

[١] البغدادى: تاريخ بغداد ، ج١ ص ١٢٤.
[٢] المازورى: فتاوى المازورى.ص٩٠.
[٣] الصولى: اخبار الراضى ، ص٧١. ابن الجوزى: المنتظم ، ج١٣ ، ص٣٥٧.
[٤] الصولى: اخبار الراضى ، ص٧٦.
[٥] عبدالرحمن عبدالكريم: التجارة الداخلية والخارجية ، ج٥ ص٣١٧، عبدالمنعم عرفات:الازمات الاقتصادية ، ص١١١.
[٦] الصولى: الاوراق ، ص٢٤٣.
[٧] فهمى سعد ، العامة فى بغداد ، ص ٥٥.
[٨] ابن الاثير: الكامل ، ج٧ ص٢٢.
[٩] الماوردى: الاحكام السلطانية ، ص ٣١٩.

والزيت وغير ذلك من المواد الغذائية إلى الجند وبعض موظفيها كرزق شهرى، ولعل هذه الخطوة ضيقت مجال التلاعب بالاسعار [١]من قبل المحتكرين نظرا لتوافر تلك المواد لطائفة عريضة من الناس ، كما كانت تجبر المحتكرين على فتح دكاكينهم[٢] وبيع ما فيها من سلع ، كما كانت تصادر الدقيق احيانا مثلما فعل الخليفة المقتدر بالله ، حيث منع الاحتكار وأجبر المحتكرين على فتح دكاكينهم وبيع ما فيها من سلع[٣].

ويبدو مما سبق أن الكوراث الطبيعية شجعت المحتكرين على إخفاء الموارد والأطعمة من الاسواق بطرق ووسائل مختلفة ، وسمحت لهم بتحقيق أرباح ومكاسب من واقع الشدة.

---

[١] حمادن الكبيسى: التجارة الداخلية والخارجية ، حضارة العراق ، ج٥ ص٣٣٧.
[٢] الصولى: اخبار الراضى ،ص ٢٤٣.
[٣] مسكويه: تجارب الامم ،ج١ ص٧٤.

- الخاتمـــة

بعد استعراض عمليات السلب والنهب ونتائجها على المجتمع فضلا عن الموقف الرسمى للدولة او الخلافة العباسية: تخلص الدراسة الى عدد من النتائج، وهى:

١. ان بغداد عاصمة السلام كانت بلا سلام خصوصا مع بداية القرن الرابع الهجرى نتيجة للظلال السيئة التى ألقت بها أعمال السلب والنهب الذى كان يأتى فى ركاب الكوارث الطبيعية وغيرها من العوامل مثل اضطراب الاحوال السياسية ووجود جماعة العيارين والواقع أن الخلافة العباسية عندما كانت قوية فى وقت تمنع فيه خلفاء بنى العباس بالحزم والكفاءة استطاعت كبح جماح هؤلاء اللصوص ، لكن ضعفها اغرى هؤلاء على القيام باعمال السلب والنهب.
٢. هناك ارتباط كبير بين الكوارث الطبيعية وعمليات السلب والنهب التى شاعت فى بغداد بداية من القرن الرابع الهجرى.
٣. اقترانت اعمال السلب والنهب بفترات ضعف الدولة العباسية واضطراب الاحوال السياسية وضعف الخلفاء العباسيين وسيطرة البويهيين.
٤. كان للعيارين دور مهم فى القيام بالعديد من عمليات السلب والنهب فى بغداد
٥. ساعدت عمليات السلب والنهب فى بغداد على انعدام الامن وسوء الاحوال الاقتصادية وارتفاع الاسعار.
٦. ساهمت أعمال السلب والنهب فى احداث أزمة اقتصادية واضطرابات اجتماعية بدرجات متفاوتة من الشدة بجميع شرائح السكان ، وكان لها تأثير ملموس على قدرة الخلافة العباسية ذاتها فى البقاء.
٧. حاولت الدولة العباسية التدخل والتخفيف من وطأة المعاناه ، غير أن جهودها صادفت احيانا نجاحا جزئيا مؤقتا ، ولم يصادفها نجاحا مستمرا.

مصادر ومراجع الدراسة

أولاً المخطوطات: ابن هيدور: ماهيه المرضى الوبائي وشهر الخطبة الملكية في الامراض الوبائية، م خ ح ، الرباط، رقم (٩٦٠٥).

ثانيا المصادر:

١- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن حمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر، ودار بيروت، لبنان، طبعة بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢- ابن الجوزي: أبو الفرج، عبدالرحمن بن على الجوزي (٧٥٩هـ/١٣٥٧م).
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الأجزاء الخامس والسادس، طبع بمطابع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ.
- تلبيس إبليس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣- ابن الحاج: المدخل، بيروت، ١٩٧٢م.

٤- ابن الطقطقي: محمد بن على بن طبا طبا العلوي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م).
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى بمصر،١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.

٥- ابن العماد: أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨ م -).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق،عبد القادر الانادور و اخرون، دمشق (د- ت).

٦- ابن بطوطة: محمد بن عبدالله اللواتي، (ت٧٧٩ هـ /١٣٧٧م)
- رحلة ابن بطوطة، تحقيق المنتصر الكتاني، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٧- ابن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي، البشغاوي، الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩ م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٨هـ/١٠٦٣م

٨- ابن جبير: محمد بن أحمد الكتاني ٥٤٠هـ /١١٤٥م،
- رحلة ابن جبير، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٩- ابن حزم: ابو محمد على بن احمد الاندلسي المتوفي سنة(٤٥٦ ه/١٠٦٣ م)،
- المحلى بالاثار، بيروت (د-ت).

١٠- ابن حوقل: أبو القاسم، محمد بن على النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٣٨م)
- صورة الارض، بيروت ليدن ١٩٣٨م.

١١- ابن خرداذبه: أبو القاسم، عبيدالله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م).
- المسالك والممالك، العراق، باعتناء دي غويه، ليدن ١٨٨٩م.
١٢- ابن خلدون: ولي الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد، التونسي، الحضري، التالكي، (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ م).
- المقدمه، بيروت، ١٤١٣ه /١٩٩٢م.
١٣- ابن رشيد الحفيد:أبو الوليد محمد بن أحمد (ت٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المغرب، ١٤١٧هـ.
١٤- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر، المتوفى ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م،
- رد المختار على الدر المختار،حاشية ابن عابدين(ت١٢٥٢ هـ/ ١٨٣٦م)، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٥- ابن فرحون:إبراهيم علي بن محمد (ت ٧٩٩ هـ/١٣٩٦ م)
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء الذهب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- تبصرة الأحكام، حققه طه عبدالرؤوف، القاهرة، د ـ ت.
١٦- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م).
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.
١٧- ابن ماجة: محمد بن يزيد القذويني(ت٢٧٣ هـ/٨٨٦ م)،
- سنن بن ماجة، القاهرة، ١٩٥٢م.
١٨- ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠ م).
- كتاب تجارب الأمم، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
١٩- ابن مغيث الطليطلي: أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٤٥٩ هـ/١٠٤٦ م)
- المقنع في علم الشروط، مدريد، ١٩٩٤م.
٢٠- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل بن جلال الدين أبو العز ابن نجيب الدين ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ/١٣٣١ م).
- لسان العرب، المطبعة الأميرية، ببولاق، الطبعة الأولى، ١٣٠١هـ.
٢١- أبو العباس أحمد القلقشندي:(ت٨٢١ هـ/١٤١٨ م).
- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، القاهرة، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٩م.
٢٢- أبو حيان:علي بن محمد بن العباس التوحيدي(ت٤١٤ هـ/١٠٢٣ م)
- الامتاع والمؤانسة، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٢٣- أبو نعيم الاصفهاني:أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠ هـ/١٠٢٨ م)
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، د ـ ت.
٢٤- البهوتي: منصور بن يونس الحنبلي، (ت ١٠٥١هـ/١٦٤١ م)،
- كشاف القناع عن متن الاقناع، بيروت، د. ت.

٢٥- التنوخي: أبو على المحسن بن على أبي القاسم علي بن محمد (ت٣٨٤ هـ/٩٩٤ م)،
- الفرج بعد الشدة، عتيق عبود الشالحي، بيروت، ١٩٨٧م.
- نشوار المحاضره، بيروت ١٩٧٣م.
٢٦- الحميري: محمد عبدالمنعم(ت٩٠٠ هـ/١٤٩٥ م)،
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٧- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن على(٤٦٣ هـ/١٠٧٠ م)،
- تاريخ بغداد، بيروت، (د ـ ت).
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
٢٨- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م)،
- كتاب العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م.
- المنجد، الكويت، ١٩٦٠.
- تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت ١٩٨٨م.
٢٩- الرذرواري: أبو شجاع أحمد بن حسين الأصفهاني(ت٥٩٣ هـ/١١٩٦ م)،
- تجارب الأمم، تحقيق. اميروزمارجليوث، القاهرة، ١٩١٦م.
٣٠- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكرمحمد بن سابق الدين الخضري(ت٩١١ هـ/١٥٠٥ م،
- تاريخ الخلفاء، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣١- الشيرازي: ابن بسام أبو الحسن علي بن محمد البغدادي(ت ٣٠٢ هـ/٩١٤ م)،
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السامرائي، بغداد، ١٩٨٣م.
٣٢- الصابي: أبو الحسن: الهلال بن الحسن بن إبراهيم الحراني (ت٤١٨ هـ/١٠٢٧ م)،
- الوزراء، أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٥٨م.
٣٣- الصولي أبو بكر محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن محمد البغدادي (ت٣٣٥ هـ/٩٤٦م).
- أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، تحقيق، ج هيورث رن، مصر، ١٩٣٥م.
٣٤- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٥- قدامة: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨ م).
- نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، باعتناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
٣٦- القرطبي: عُريب بن سعيد(٣٦٩ هـ/٩٧٩ م).
- صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٠م.
٣٧- القشيري: مسلم بن الحجاج(ت٢٦١ هـ/٨٧٥ م)،
- صحيح مسلم، القاهرة، ١٩٥٥م.
٣٨- الكاساني: علاء الدين أبو بكر مسعود، (ت٥٨٧هـ/١٠٩١ م)،
- بدائع الصانع في ترتيب الشرائع، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٩- المازوري:أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر (ت٥٣٦ هـ/١١٤١ م)
- فتاوي المازوري، تقديم وجمع الظاهري المعموري، تونس، ١٩٩٤م.
٤٠- الماوردي: أبو الحسن على بن محمد بن حبيب، المتوفى ٥٤٠هـ/ ١٠٥٩م،
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م.
٤١- المجاليدي: أحمد سعيد.
- التيسير في أحكام التسعير، تحقيق القبال موسى، الجزائر، د-ت.
٤٢- المسعودي، أبو الحسن على.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٦٦م.
٤٣- الهمذاني: أحمد بن الحسن بن يحي بن بديع (ت ٣٩٨ هـ/١٠٠٧ م)
- مقامات الهمذاني، قدم لها شرحها فاروق سعد، بيروت، ١٩٨٢م.
- ثلاث رسائل في آداب الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، عريب
٤٤- الهمذاني: محمد بن عبدالملك الهمذاني (ت ٥٢١هـ/١١٢٧ م)
- تكملة تاريخ الطبري- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
٤٥- ياقوت: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الريس الحمودي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م).
- معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، نشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثالثا: المراجع العربية

١. ابراهيم حركات: المجتمع الاسلامى والسلطة فى العصر الوسيط ، افريقيا الشرق ١٩٩٨م.
٢. احمد محمد الحطيمى: الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية عمان ،٢٠٠٨م.
٣. ادم متز: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الاسلام ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ومكتبة الخانجى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م.
٤. بروريل: البحر المتوسط والعالم التوسطى ، ترجمة عمر بن سالم ، تونس ١٩٩٠ م.
٥. حسام الدين السامرائى: المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية ، دار الفكر العربى ،١٤٠٣هـ.
٦. حسن منيمنه: تاريخ الدولة البويهية السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، بيروت ، ١٩٨٧ م.
٧. حسين مؤنس: الحضارة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها ، الكويت ، ١٩٧٨م.
٨. حمدان الكبيسى: أسواق العرب ، بغداد ، ١٩٧٩م.
٩. صفاء حافظ: نظام الحكم فى الدولة العباسية ، القاهرة ، ١٩٨٦م.
١٠. غريب محمد سيد: الاقتصاد الاسلامى ، الاسكندرية ،١٩٨١ م.
١١. فالتر هنست: المكاييل والاوزان الاسلامية ، وما يعادلها فى النظام المترى ترجمة كامل العلى ، عمان ،١٩٧٠م.
١٢. فهمى سعد: العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت ١٩٨٣م.
١٣. محمد عبدالفتاح عليان: قرامطة العراق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين القاهرة ١٩٧٠م
١٤. مصطفى التواتى: المثقفون والسلطة فى العصر الوسيط أفريقيا الشرق ١٩٩٨ م.

رابعا: المراجع الاجنبية

1-Akasoy, The Man- Made Disater: Fire in cities in the Medieral Middle East , **Historical Social Research**, inna2007 Vol.32, No.3 , pp. 75-87.

2- Waines, David. The pre- Buyid Amirate: Two views from the past in ,**International Journal of Middle East studies**, 1977. Vol. 8, No. 3 pp. 339-348.